بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين
الإسلام محتاج الى جميع أبنائه
الخميس ٥ جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ / ٢٦ آذار ٢٠١٥ م العدد ١٥٠
نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

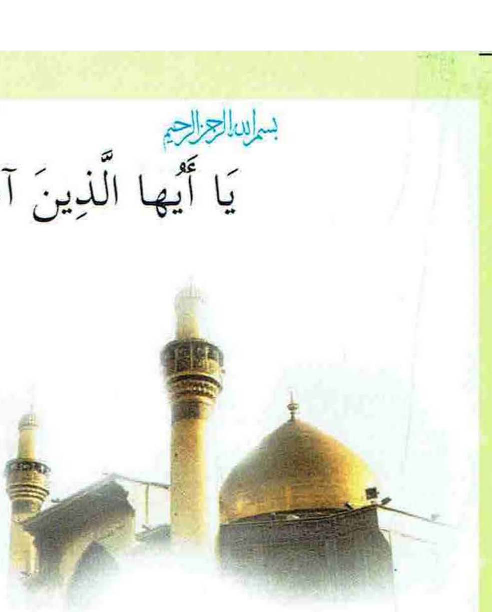

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ السيدة الزهراء (عليها السلام) ووراثة المستضعفين

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾

لماذا القتل لهم عادة(١)

روى انه لما أدخل سبايا الإمام الحسين (عليه السلام) ومعهن ولده الإمام السجاد (عليه السلام) على مجلس عبيد الله بن زياد ودار بينهما كلام، أمر اللعين بقتل الإمام (عليه السلام) فقال (عليه السلام): (أبالقتل تهددني يا ابن زياد أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة)(٢)

هذه كلمة يرددها الخطباء (جزاهم الله خيرا) على المنابر وتثير العواطف والعبرات، من دون أن نتوقف عندها لنتساءل لماذا القتل لهم (عليهم السلام) عادة؟، وهو معنى تكرر في كلمات أهل البيت (عليهم السلام) مما يعني أن تعرضهم (عليهم السلام) للقتل لم يكن حالة عابرة وإنما تحوّل الى عادة، أي ظاهرة تتكرر نسختها معهم (عليهم السلام) واحدا بعد الآخر، حتى اشتهر عنهم قولهم (عليهم السلام) (ما منا الا مقتول أو مسموم)(٣)

وورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (وإنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور كي لا تبطل حججك)(٤)

فهم (عليهم السلام) بين مقصيّ معزول أو مشرد مطارد محاصر وإذا كان مثلهم ليس بالمطاع فلمن تعطي البشرية طاعتها؟ لفرعون، نمرود وصدام؟ وإذا كان مثلهم خائفا متخفيا فلمن السلطة والقدرة والتمكن؟ لأولياء الشيطان من الطواغيت والمستكبرين!

وهذه الظاهرة في حياة الامة تتطلب التوقف والتأمل العميق، لماذا يكون مصير هؤلاء الأعاظم الذين تشرفت الأرض ومن عليها بوجودهم المبارك الذين خلقهم الله تعالى رحمة للعالمين وكلهم عطاء وخير للبشرية، لماذا يكون جزاؤهم دائما القتل والحبس والتعذيب والتشريد والمحاصرة والعزل؟ أليس من واجب الامة أن تضعهم في حدقات عيونها وتتفانى من أجل الدفاع عنهم وحمايتهم وإطالة بقائهم ليزداد انتفاع البشرية منهم؟ فلماذا يحصل العكس وتفتقدهم في زهرة أعمارهم، فالسيدة الزهراء (عليها السلام) قضت شهيدة في الثامنة عشرة والإمام الجواد (عليه السلام) في الخامسة والعشرين والإمام العسكري (عليه السلام) في الثامنة والعشرين والإمام الهادي (عليه السلام) في الثانية والأربعين والإمام الحسن السبط (عليه السلام) في السابعة والأربعين وهكذا وكلهم مضوا شهداء بالسيف أو السم.

أنهم (عليهم السلام) حينما يعبرون بألم ومرارة عن هذا المصير الذي يواجهونه دائما فلا ينطلق ذلك من حبهم لأنفسهم أو لرغبتهم في الاستزادة من هذه الدنيا فان (كرامتهم من الله الشهادة) التي لا ينالها الا ذو حظ عظيم وباجتباء الهي ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ (آل عمران١٤٠) لكن ألمهم ومرارتهم ينطلق من شفقتهم على الامة البائسة والشقية التي تواجه من يريد لها الخير والإحسان بهذا المصير القاسي، وتخنع وتخضع لمن يسومونهم سوء العذاب؟ هذا الأسى والأسف الذي عبر عنه قوله تعالى ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ (يس٣٠).

ورغم هذه الصورة القاتمة لسلوك الناس تجاه قيادتهم الحقة، الا انه يوجد بصيص من نور يضيء لمن يريد سلوك طريق الهداية وينير درب الحقيقة، عبر عنهم امير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (.........اولئك هم الاقلون عددا)(٥) ورغم قلة عددهم الا ان بهم الكفاية لإدامة الرحمة الالهية للخلق، لان الله تعالى شفيق بعباده ولطيف بهم لا يتركهم تائهين ضالين وان تنكروا له وعادوه وبارزوه بالعصيان، فهو تعالى يوصي عباده بعباده في الحديث القدسي (الخلق عيالي فأحبهم الي الطفهم واسعاهم في حوائجهم)(٦) ولا شك انه شفيق بعباده من انفسهم.

والخلاصة ان هذه الظاهرة الخطيرة المخالفة للفطرة والمتكررة في كل جيل حتى اليوم، يجب ان نتوقف ليها عندها تشخيصا وعلاجا، تشخيصا بان نلتفت اليها و نحللها ونعرف اسبابها، وقد اوردنا جملة من هذه الاسباب في محاضرة سابقة بعنوان ((اعداء علي (عليه السلام) لا يتناهون كمناقبه)).

هذه الامراض الاجتماعية المعنوية يجب ان تحظى باهتمام لا يقل عن الاهتمام بالاوبئة المرضية العامة التي تصيب الجسد بل الأولى أولى لانها تخرب الحياة الباقية الدائمة في الاخرة وتنكد حياة الانسان في الدنيا لكن مشكلتها في عدم الالتفات الى خطورتها.

هذا على صعيد التشخيص، اما العلاج يتضمن خطوات عديدة يبدأ من التفقه في الدين والمعارف القرآنية وسيرة اهل البيت (عليهم السلام) واخلاقهم والالتزام بها عمليا، ثم نشر هذه العلوم بين الناس من خلال الحوزات الدينية ومدارس القران الكريم وغيرها من الآليات.

وهذه فرصة ثمينة للطاعة ان يكون احدنا من الذين وصفهم امير المؤمنين (عليه السلام) (اولئك هم الاقلون عددا)، ولا نكون من الكثرة الغافلة التائهة التي يقول عنها الله تعالى ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ (يس٣٠) بتضييعهم لهذه الفرص الثمينة.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع وفد جامعة الصدر الدينية في كربلاء ودار القران الكريم في قضاء عين التمر يوم ١٥/ج١/ ١٤٣٦ المصادف ٧/ ٣/ ٢٠١٥ (٢) بحار الانوار: ٤٥/١١٨ عن اللهوف لابن طاووس:٦٢

(٣) علل الشرائع: ٢٢٦ (٤) اصول الكافي: الجزء الاول/ ٣٧٤ و غيبة النعماني: ٢٠٩-٢١٠ (٥) اصول الكافي الجزء الاول ص ٣٧٤ (٦) الكافي: ج ٢ ص ١١٩

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ(٧) السيدة الزهراء (عليها السلام) ووراثة المستضعفين

لما عقد المنقلبون على الاعقاب عزمهم على نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ومخالفة وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخليفة من بعده واقصاء أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مقامه، وواجهوا النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك الكلام القاسي الذي فيه إعلان الحرب على الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) في رزية يوم الخميس عندما أراد أن يؤكد الوصية ويكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا، وقال قائلهم (إن الرجل ليهجر)، جمع النبي (صلى الله عليه وآله) أهل بيته خاصة ونظر اليهم وبكى وقال لهم (أنتم المستضعفون بعدي)(٨)

وظاهر الحديث وبقرينة الظروف التي صدر فيها أنه إخبار بأمر محزن ومؤلم بأن زعماء الإنقلاب سيظلمونهم ويعتدون عليهم بألوان الايذاء، ولا يتورعون عن قتلهم وفعل اي شيء يتطلبه مشروعهم، وفي الحديث إشارة إلى أن فعل القوم بأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) سيشابه فعل فرعون ببني إسرائيل حينما استضعفهم كما في قوله تعالى ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص/٤)

وهكذا فعل القوم بآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد كان شعارهم الذي صرحوا به في يوم عاشوراء بعد أن كان مخفيا (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية) روى في تفسير القمي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لقي المنهال بن عمرو علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له: كيف أصبحت يابن رسول الله، فقال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت، أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا)(٩).

واستشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) بقول هارون أخي موسى (عليه السلام) ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ (الأعراف/١٥٠) عندما أجبروه على بيعة أبي بكر فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، قال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله) فالتفت إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وخاطبه بقول هارون لأخيه موسى في الآية الشريفة(١٠).

ولما كانت الآيات القرآنية لا تختص بزمان دون زمان وإنما تعالج حالات وظواهر وتبين سننا قابلة للتكرار في كل زمان إذا توفرت أسبابها وظروفها، فإن الآية التي تليها وهي قوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (القصص/٥-٦) وتعطي للحديث معنى آخر ملؤه التفاؤل والأمل وفيه وعد بالنصر والتمكين في الأرض ووراثتها ومن عليها واستعادة الحق لأهله وجعل الأئمة والقادة منهم لأن الإرادة الإلهية تعلقت بذلك (ونريد) فلا تتخلف ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ (الروم٦)، فوصف النبي (صلى الله عليه وآله) أهل بيته بالمستضعفين فيه إشارة الى انطباق الآية عليهم ولعلهم مقصودون أكثر من موسى وهارون (عليهما السلام) بالوعد الإلهي لورود كلمة (منهم) فيها وليس (منه) أو (منهما) فيما لو كان المقصود موسى (عليه السلام) أو هو وأخاه هارون، بل أن لفظ الحديث يفيد حصر الوصف بهم (عليهم السلام) كما لا يخفى على المتأمل في الحديث، و يجعلهم أيضا المقصودين بالآية الشريفة .هذه سنة الهية ثابتة، في عباده المستضعفين واعدائه المستكبرين قال تعالى ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ (الأعراف١٣٧)

وكان الأئمة (عليهم السلام) يصرحون بهذا المعنى في عدة روايات ليطمئنوا شيعتهم ويزرعوا الأمل فيهم ويدفعوهم الى العمل المثمر وليردعوا أعداءهم عن الظلم، ففي معاني الأخبار للصدوق بسنده عن المفضل قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نظر إلى علي والحسن والحسين (عليهم السلام) فبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدي) قال المفضل فقلت له: وما معنى ذلك يا ابن رسول الله قال معناه: أنكم الأئمة بعدي إن الله عز وجل يقول ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة)(١١)

وفي مجمع البيان.. صحت الرواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها -أي امتناعها- عطف الضروس(١٢) على ولدها، ثم تلى الآية.

وفي كتاب الغيبة للطوسي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الآية قال (هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم)(١٣) والآية جارية بعد الأئمة (عليهم السلام) في شيعتهم، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (من أراد أن يسأل عن أمرنا وأمر القوم -اي خصومهم- فإنا وأشياعنا يوم خلق الله السماوات والأرض على سنة موسى وأشياعه، وإن عدونا وأشياعه يوم خلق الله السماوات والأرض على سنة فرعون وأشياعه فنزلت فينا هذه الآيات)(١٤) وقال سيد العابدين علي بن الحسين (عليه السلام): (والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا، ان الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وان عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه)(١٥).

فالخصم قد تكون له جولة يغلب فيها وتكون بيده السلطة و يحكم قبضته على أولياء الله تعالى، ويستضعفهم وقد تطول مدة فرعنته ولكن الدولة والنصر والغلبة يكون في النهاية لأهل الحق [illegible] استضعفوا ويذهب ما سواه جفاءا كالزبد.

وانما سموا مستضعفين لأن أعداءهم يتوهمون فيهم الضعف بعد أن يسلبوهم كل أسباب القوة الظاهرية من السلطة والمال والنفوذ ويحاصروهم ويطوقوهم فيستكبرون عليهم ويظلمونهم، وهم ليسوا ضعفاء في ذاتهم بل انهم يملكون اسباب القوة، لكن لهم دين وورع وأخلاق وخوف الله تعالى يجعلهم يقدمون المصالح العليا للدين والمجتمع على المصالح الشخصية، ويمنعهم عن اتباع أساليب المكر والخداع لتحقيق مآربهم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى)(١٦).

---

(٧) الخطاب الفاطمي السنوي العاشر الذي القاه سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله على جموع المعزين بذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم ٣/ج٢/ ١٤٣٦ المصادف ٢٤/ ٣/ ٢٠١٥

(٨) تفصيل الواقعة في بحار الأنوار: ٢٢/٤٦٩ عن كتاب (اعلام الورى بأعلام الهدى: ١٤٠-١٤٣) و (الارشاد: ٩٦-١٠٠) وأورد الحديث الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢/ ٧٢ باب٣١ ح٣٠٢ (٩) تفسير القمي: ٢/ ١١٠ (١٠) الدرر السنية: الفصل الثاني عشر.

(١١) معاني الأخبار: ٧٩ باب٣١ ح١. (١٢) وهي الناقة سيئة الخلق تعض حالبها فإذا كانت كذلك حامت عن ولدها، وقيل الضروس الناقة يموت ولدها أو يذبح فيحشى جلده فتدنو منه وتعطف عليه. (١٣) نور الثقلين: ٤/ ١١٠

(١٤) بحار الانوار: ٢٤/١٧٠ ح ٨ (١٥) مجمع البيان: ٤/ ٣٧٥ (١٦) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢. (١٧) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٩.

(١٨) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: ٤/ ٣٦٣ عن عوالم المعارف: ١١ /٢٢٨. الجدث: القبر. والمجدوث: المقبور. والحور بعد الكور أي النقصان بعد الزيادة. (١٩) المصدر السابق: ٤/ ٣٢٤

وعنه (عليه السلام) قال في الثناء على أحد أصحابه المخلصين (كان لي فيما مضى أخ في الله وكان ضعيفا مستضعفا، فإن جاء الجد فهو ليث غاب، وصل واد)(١٧).

أيها الأحبة المفجوعون بمصيبة بضعة النبي (صلى الله عليه وآله) وروحه التي بين جنبيه:

لقد أرادت السيدة الزهراء (عليها السلام) بمواقفها الرسالية أن تهدي الامة الى المنهج الذي يوصلهم الى نيل هذا المن الإلهي ليتخذ منهم قادة العالم ويمكنهم في الأرض و يجعلهم الوارثين باتباعهم عليا والأئمة من بعده والسير على هداهم، قالت (سلام الله عليها) في بعض كلماتها (أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه لما اختلف في الله اثنان ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين (عليه السلام) ولكن قدموا من أخره الله، وأخروا من قدمه الله، حتى إذا الحدوا المبعوث وأودعوه الجدث [illegible] اختاروا بشهوتهم وعملوا بآرائهم، تبا لهم أولم يسمعوا الله يقول ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ (القصص٦٨) بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج٤٦) هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم، ونسوا آجالهم فتعسا لهم وأضل أعمالهم، أعوذ بك يارب من الحور بعد الكور)(١٨).

فالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تدل الامة على ان وراثتهم الارض وتمكينهم فيها حتى تكون بيدهم العليا وغيرها من البركات تتحقق بوحدتهم خلف قيادتهم الحقة وطاعتهم لها والتجرد عن الاهواء والتعصبات والانفعالات والتحزبات [illegible]، وبذلك يحبطون خطط [illegible] في استضعاف الناس من خلال تمزيق وحدتهم وجعلهم جماعات وأحزابا ويضرب بعضهم بعضا، قال تعالى ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا﴾ (القصص٤) اي فرقا مختلفة فيفقدون قوتهم في صراعاتهم الداخلية ويسهل استضعافهم لانهم لم يقيموا الدين في حياتهم وتخاذلوا على تطبيقه وتركوا فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ (الروم٣٢) ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ (الأنعام٦٥)

وتبين السيدة الزهراء (عليها السلام)، ان حركة الامة نحو وراثة الارض والتمكين فيها لابد ان يقف على راسها القائد الجامع للشروط قالت (عليها السلام) في خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار وهي تذكر بركات اتباعهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ولأوردهم منهلا -وهو محل ورود الماء- نميرا -الماء العذب السائغ النامي للجسد- صافيا رويا -كثير- فضفاضا -واسعا- تطفح ضفتاه، ولا يترنق -لا يتكدر- جانباه، ولأصدرهم بطانا -أي أرجعهم مرتوين مملوئين- ونصح لهم سرا وإعلانا ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف٩٦) ﴿والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ (الزمر٥١)(١٩)

ولا بد ان نعلم ان التمكين في الارض ووراثتها له درجات متفاوتة لا يقتصر على تسلم السلطة والحكم فهذه وسيلة لا غاية وان التمكين الحقيقي هو ظهور وانتشار مشروعهم الالهي واقتناع الناس به فهذا هو المهم لان غرض الرسالات السماوية اصلاح الناس وهدايتهم وارشادهم الى السعادة والفلاح قال تعالى ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور٥٥).

في تفسير العياشي عن أبي الصباح الكناني قال: (نظر أبو جعفر الى أبي عبد الله فقال: هذا والله من الذين قال الله ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾) فالامام الصادق (عليه السلام) كان من اهل هذه الاية ولم يكن جزءا من السلطة لكنه (عليه السلام) استطاع بحكمته وتسديد الله تعالى له بسط مشروعه المبارك.

هذا ولكن علينا أن نأخذ قضية تمكين المستضعفين من أهل الحق كسائر القضايا بحدودها وشروطها ونضعها في موضعها الصحيح من منظومة المعارف والقوانين الإسلامية والسنن الإلهية لأنها من مقتضيات العدل والرحمة الألهية، أما مجرد تعرضهم للإستضعاف وألوان العذاب لا يجعل صاحبها موعودا بالنصر والتمكين.

فقد وصفت مجاميع اخرى بالاستضعاف لكنها أنذرت وحذرت لتقصيرهم وتكاسلهم وظلمهم أنفسهم ولانهم رضوا بحياة الخنوع والذل والاستضعاف والاستكانة، وربما داهنوا اهل الباطل ومضوا معه، قال تعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ (النساء/٩٧).

ووبخ مستضعفون آخرون لأنهم كانوا قاصرين ولم يبحثوا عن طريق المعرفة بالله تعالى والفقه في الدين والقيادة الحقة، قال تعالى ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا﴾ (النساء/٩٨-٩٩) أما الذين وعدوا بالنصر والتمكين ووراثة الأرض فلهم خصائص وخصال توفرت فيهم لأن الظلم والعذاب والأضطهاد الذي تعرضوا له لم

يدفعهم الى التنازل عن مبادئهم وأخلاقهم والتزامهم بالحق، بل حافظوا على وجودهم وعقيدتهم واخلاقهم والالتزام باتباع قيادتهم وما زادهم الاستضعاف الا هدى وصلاحا ونضجا .وقد وردت أوصاف الذين يُمكنون في الأرض في عدة آيات منها قوله تعالى ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج/٤١)، بعد قوله تعالى في وعدهم بالنصر ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج/٣٩).

فتمكينهم في الأرض تكون له بركات وآثار تكشف عن صدق نياتهم وإخلاصهم في أهدافهم وثباتهم على الاستقامة التي أمرهم الله تعالى بها وعدم انخداعهم بالدنيا البراقة التي تتزين لهم إذا مُكن لهم في الأرض وهذه الخصائص هي:

١. (أقاموا الصلاة) فهم لا يكتفون بأداء الصلوات المفروضة عليهم كتكليف شخصي، وانما يبذلون جهدهم لحث الناس جميعا على الالتزام بها والمواظبة عليها وجعل الصلاة وجودا اجتماعيا مؤثرا في حياة الناس ورادعا لهم عن الفحشاء والمنكر ويشعر الجميع بمسؤوليتهم عن إقامته والمحافظة عليه، وأوضح مصداق لهذا الوجود صلاة الجمعة التي لا تؤدى إلا جماعة وبحضور امة كبيرة من الناس مما يجعل لها كيانا مؤثرا في حياتهم، وهذا ما جربه المجتمع العراقي عندما أقيمت فيه صلاة الجمعة المباركة.

٢. (وآتوا الزكاة) بأن أخرجوا ما في ذممهم من حقوق شرعية وأقنعوا الآخرين بفعل ذلك وحثوهم عليه وساعدوهم في إيصال هذه الأموال إلى مستحقيها وانشئوا بها المشاريع الاقتصادية التي تؤدي إلى رفاه الناس وتوفير فرص العمل المناسبة والحياة الكريمة لهم.

٣. (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فلم يتركوا أهل المنكر يفعلون ما يشاؤون بل وعظوهم وزجروهم واتخذوا الإجراءات الكفيلة بردعهم حتى لو اقتضى الأمر معاقبتهم، ولم يجاملوا أو يداهنوا كما يفعل الكثير من المتصدين اليوم تحت عناوين مخادعة كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني وفصل الدين عن الدولة والحداثة والعصرنة والتقدم و نحوها من الخدع والأباطيل.

وأمروا بالمعروف وهو كل أمر مستحسن شرعا وعقلا وأقره العرف، ونشروه بين الناس وعرفوهم به وأيقظوهم من غفلتهم وأرشدوهم إلى ما يصلح دنياهم وأخرتهم وعلموهم أحكام الدين وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وسيرتهم العطرة، واقنعوهم باتباع القيادة الحقة.

هؤلاء هم من ينصرهم الله تعالى ويعزهم ويؤيدهم ويمكن لهم في الأرض.

إن كثيرا ممن مكنهم الله تعالى ليبتليهم وينظر في سيرتهم تنكروا لتلك الشروط والصفات المطلوبة فانحرفوا وأفسدوا، فأوعدهم الله بعذابه ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد:٢٢-٢٣).

كالذي نشهده اليوم من تخلي الكثيرين ممن وصل إلى السلطة عن أهدافهم وشعاراتهم والخصائص التي أشرنا إليها، حتى آل الأمر إلى هذا الواقع التعيس الذي يعاني منه الكثيرون، وهذا كفر عظيم بالنعمة.

لكن بوادر النهضة والانبعاث تفجرت من جديد هذه الايام وكانت الهجمة الوحشية لخوارج العصر ومن يقف وراءهم الضارة النافعة التي وحدت الامة وابرزت مكامن قوتها فتحققت الانتصارات التي اذهلت القريب والبعيد.

ايها الاحبة: علينا ان نعترف بالعجز عن شكر الله تعالى على التوفيق لاقامة الشعائر الفاطمية وتشييع السيدة الزهراء (عليها السلام) للمرة العاشرة وهذا لا ينال الى بنظرة كريمة منها (سلام الله عليها) اذ لم تأذن لاي احد في تشييعها الا لبضعة افراد من الموالين المخلصين ونأمل ان تكون هذه النهضة خطوة حقيقية على طريق اقامة دولة الحق والعدل ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ (الإسراء٨١).

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾(٢٠) التوبة ١٠٩

قال تعالى ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (التوبة١٠٩)

تبين الآية قاعدة اخرى من قواعد السلوك المعنوي والبناء الصالح للإنسان والمجتمع، وقد عرضت بشكل استفهام لطلب المقارنة والتمييز بين بنيانين، لكنه ليس استفهاما حقيقيا لاستحالته في حق الله تعالى ولوضوح الجواب، بل هو استفهام استنكاري لتوبيخ الجهلة وأهل الغفلة والمتعصبين والمنافقين الذين لا يميزون بينهما، وهو استفهام تقريري لترسيخ الاسس المتينة للبنيان الصحيح.

وجاءت الآية بعد المقارنة السابقة عليها ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ (التوبة١٠٧-١٠٨).

ولا شك أن المسجد الحق الذي تقوم فيه هو الثاني لان حقيقة المسجدية متوفرة فيه وأهداف المسجد متحققة منه ولأن فيه رجالا يسعون للتطهر والكمال والله يحب المطهرين بعكس الأول الذي ظاهره المسجدية وشعاره ديني الا أن كل أهدافه هي حرب على الدين وأهله.

وهنا يأتي الاستفهام الاستنكاري والتقريري الذي بدأنا به فأن البنيان المثمر الراسخ الرصين هو ما اسس على ركيزتين: التقوى ورضوان الله تعالى، فالأساس الاول التقوى المأخوذة من الاتقاء والاجتناب والاحتماء تعني تجنب كل شيء سيء وخبيث سواء على مستوى النيات أو الأعمال فلا رياء ولا سمعة ولا حب الجاه والدنيا ولا مصادر غير مشروعة للمال وأساليب ماكرة في العمل، والأساس الثاني هو الرضوان الذي يعني اشتراك كل العناصر الإيجابية من نظافة الأيدي وسلامة النيات والصدق في العمل وابتغاء الخير والإحسان.

ويقابله بنيان فاشل في مهب الريح ووبال على أصحابه يشبهه القران الكريم بمن بنى على (شفا) أي حافة (جرف) وهي حافة النهر أو البئر التي جرف الماء ما تحتها فهو (هار) أي متصدع مشرف على السقوط والانهيار في أي لحظة لأنها حافة منخورة متآكلة فيسقط في هذا الوادي المرعب العميق.

ولا يختلف اثنان في أن البنيان الأول هو الثابت الجيد الذي يطلبه العقلاء فعليهم أن يتوجهوا الى مثله، ويتجنبوا الثاني. والآيات وإن نزلت في حالة قائمة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وهما مسجد ضرار(٢١) الذي بناه جمع من المنافقين في قضية معروفة للأهداف المذكورة في الآية/ ١٠٧ المتقدمة وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بإحراقه، وفي مقابله مسجد قبا أو مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أسس على التقوى الا أنها -كما هو شأن سائر الآيات القرآنية- عامة شاملة لكل بنيان لذا قلنا انها تؤسس لقاعدة عامة من قواعد السلوك.

روى في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تأويل الآية قوله (عليه السلام) (وكل عبادة مؤسسة على غير التقوى فهي هباء منثور)(٢٢).

وفي ضوء هذا المعنى الواسع للآية الكريمة تكون النتيجة أن كل حالة أو مؤسسة أو مشروع فردي أو جماعي يراد له أن يكون صالحا ومثمرا ومتينا ويدوم عمله لابد أن يشتمل على ركنين:-

١- أن يكون الغرض الذي اسس من أجله والهدف الذي يصبو الى تحقيقه نبيلا ساميا والنية التي تدفعه اليه حسنة مستندة الى تقوى الله تبارك وتعالى وطلب رضوانه ﴿أسس على التقوى من أول يوم﴾.

٢- أن يكون القائمون على هذا البنيان والمدبرون لأمره والعاملون فيه مؤمنين مخلصين يحبون الخير والتطهر والكمال ويسعون اليه ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾.

والا فان البناء ينهار ولا يحقق شيئا بل يكون وبالا على أصحابه في الدنيا والاخرة وان رفع شعارات وأسماء دينية لخداع الناس وسوقهم لتحقيق المصالح الشخصية فلا يصح أن يكون الانسان مغفلا وينخدع بالعناوين الفارغة من المحتوى الصحيح. وينبغي ملاحظة نقطة مهمة في المسيرة الإصلاحية للشريعة المقدسة وهي أنها تقدم البديل الصالح حينما تهدم الحالة الفاسدة (لا تقم فيه- اي مسجد ضرار- والبديل أحق أن تقوم فيه- وهو المسجد المؤسس على التقوى-) وهو منهج رباني اعتمدته الشريعة منذ أول كلمة نطق بها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) (لا اله الا الله) فهي في الوقت الذي تبطل الآلهة المزيفة المصطنعة تقيم عبادة التوحيد لله تبارك وتعالى، فلنتعلم اننا حينما نريد هدم حالة معينة فاسدة اجتماعية او ثقافية او عقائدية علينا ان نؤسس ونبني البديل الصالح، فحينما نريد معالجة الفساد الاخلاقي والانحراف الجنسي علينا ان نيسر امور الزواج ونساعد عليه وهكذا.

أيها الأحبة من الشباب وطلبة الجامعات الذين وفدتم الى النجف الأشرف لتعزية أمير المؤمنين (عليه السلام) باستشهاد زوجه بضعة النبي (صلى الله عليه وآله).

استحضروا هذا المعنى وأنتم تتلون هذه الآية الشريفة واجعلوها نبراسا وبوصلة لحياتكم لأنكم بصدد وضع حجر الأساس لعدد من مشاريع البناء:

المشروع الاول: بناء النفس والذات والمستقبل المعنوي والعلاقة مع الله تعالى التي هي أساس الحياة الآخرة الباقية لأن الفتى الذي يبلغ سن الرشد ويلتحق بالبالغين هو في بداية حياة جديدة يتشرف فيها بالتكاليف الالهية وتنفتح امامه فرص التكامل والقرب الالهي عليه ان يلتفت الى بناء حياته على تقوى من الله ورضوان، ويكون كما أراد الإمام السجاد (عليه السلام) في دعائه (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر) لذلك أعطت الأحاديث الشريفة قيمة كبيرة لمن ينشأ من أول أمره ويؤسس بنيان نفسه على طاعة الله تعالى، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل الا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل...)(٢٣) وفي حديث آخر عنه (صلى الله عليه وآله) (فضل الشاب العابد الذي تعبد في صباه على الشيخ الذي تعبد بعدما كبرت سنه كفضل المرسلين على سائر الناس)(٢٤) وعنه (صلى الله عليه وآله) قال (إن أحب الخلائق الى الله عز وجل شاب حدث السن في صورة حسنة جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقا)(٢٥).

المشروع الثاني: إن الطالب الجامعي الذي ينهي دراسته ويتوجه الى العمل والكسب عليه أن يفهم أنه يبني مستقبله و يحدد بوصلة حياته القادمة فلا بد أن يحدد اختياره لنوع الوظيفة والعمل ويضع برنامج عمله وفق هذه الاسس المتينة للبناء.

المشروع الثالث: إنكم مقبلون على الزواج إن شاء الله تعالى بعد المشروع الثاني والزواج وُصف في بعض الأحاديث الشريفة أنه بنيان، عن أبي جعفر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج)(٢٦)

فالذي يريد أن يبني حياة زوجية سعيدة صالحة مثمرة عليه أن يبنيها من أول خطوة عندما يبحث عن الزوجة أن يجعل أساس اختياره التقوى ورضوان الله تعالى في صفات الزوجة ومعدنها وفي نيته من مشروع الزواج، وليس البحث عن الامور الدنيوية الزائلة، وهو ما نطقت به الأحاديث الشريفة، كقوله (صلى الله عليه وآله) (عليك بذات الدين)، والمرأة يوجه لها نفس الخطاب قال (صلى الله عليه وآله): (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)(٢٧).

المشروع الرابع: ما بعد الزواج وهو إنجاب ذرية طيبة صالحة تكون عاقبتهم الى خير عليه وذلك بأن يؤسس بنيانهم ويلتفت الى تربيتهم من أول أيامهم على الخير وطاعة الله تعالى والأخلاق الفاضلة وتجنب الرذائل فإن بناءه سيكون رصينا ثابتا مستقيما حتى ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر)(٢٨) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (العلم من الصغر كالنقش على الحجر)(٢٩) أما إذا لم يكن أساسه كذلك وحصل اعوجاج فيحتاج الى مشقة كبيرة لإصلاحه وقد يتعذر ذلك كما هو واضح. فليلتفت أحبتنا الشباب وأولياء امور الفتيان والصغار الى هذا المعنى.

وهكذا تتوسع الحالة الى الذي يتصدى لقيادة دينية أو سياسية في مساحة صغيرة أو مساحة واسعة ويريد أن يبني مجتمعا صالحا فانه لا بد أن يكون أساس بنيانه تقوى الله تعالى وطلب رضوانه، روي في الحديث الشريف (صنفان من امتي ان صلحا صلحت وان فسدا فسدت: العلماء والامراء)(٣٠).

وهنا علاقة تكاملية متبادلة بين البنيان والباني فكما أن حال الباني المعنوي المستند الى التقوى ورضوان الله تعالى مؤثر في صلاح البنيان واستقامته وديمومته، كذلك فإن البنيان الصالح المبارك كالمشاهد المقدسة مؤثر في صفاء نفوس رواده وسمو حالتهم المعنوية ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾، كما أن البناء المستند الى الرياء والنفاق وخبث الباطن يؤثر في نفوس وقلوب مرتاديه، فلا بد للإنسان أن يلتفت الى الركن الثاني فيختار صحبة الصالحين ولا يكتفي بالركن الأول، وحينئذ يحظى بمحبة الله تبارك وتعالى ﴿والله يحب المطهرين﴾.

وعلى أي حال فهذه قضية خطيرة أثارها القرآن الكريم لا نستطيع بهذه العجالة بيان كل تفاصيلها، بحيث أن النبي (صلى الله عليه وآله) يأمر بعض أصحابه أن يحرقوا مسجد الضرار لإحباط هذا المشروع المنافق الخطير الذي يمزق وحدة المجتمع المسلم مع أنه في ظاهره مشروع ديني، وهذا الكلام له بيان آخر.

لكن ما اريد أن اقوله أننا في كل تفاصيل حياتنا في عملية بناء ابتداء من بناء أنفسنا الى اسرتنا الى مؤسساتنا الى مجتمعنا الى البشرية كلها فلا بد من الالتفات الى الاسس الرصينة التي تقوّم هذا البناء وتحسنه ليؤدي أهدافه بشكل تام.

وكما هو واضح فإن في كل الحالات [illegible] وأنواع البنيان المذكور فان المرأة هي المدير التنفيذي كما يقال لتلك المشاريع وهي المهندس المباشر لتنفيذ مراحل البناء واستقامته وانما سُميت اما لأنها الاصل في هذا الوجود، ولذا ورد عن السيدة الزهراء (عليها السلام) قولها: (الزم رجلها- أي الام- فان الجنة تحت اقدامها)(٣١).

أما الرجل فهو المهندس المصمم لتلك المراحل والمخطط لها والمقوّم لمسيرتها .وقد كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) أكمل مثال للنجاح في بناء كل هذه المشاريع، فعلى صعيد الذات هي من الخمسة أهل الكساء أكمل الخلق وقد خلق الوجود لأجلهم: فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها (صلوات الله عليهم أجمعين) وهي محور هؤلاء الخمسة.

وعلى صعيد الاسرة فاسرتها أسعد وأطيب وأطهر اسرة هي وأمير المؤمنين وفي ظل رعاية أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله). وعلى صعيد الذرية فهي أصل الذرية الطيبة الطاهرة المعصومة ومنها ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلى صعيد العطاء المثمر المبارك [illegible] الله تعالى (الكوثر) وجعلها هبة الله تبارك وتعالى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (الكوثر١) والكوثر تعني الخير الكثير.

هذه الحقيقة القرآنية تكشف عن أهمية نشر فروع الحوزة العلمية في المحافظات المختلفة للرجال والنساء وتكتسب شرفها وأهميتها من وظيفتها في بناء الانسان والمجتمع على أساس التقوى ورضوان الله تعالى من خلال نشر المعارف القرآنية والأحكام الشرعية والأخلاق الفاضلة فابنوا مشروعكم على هذه الاسس الرصينة من أول يوم الى آخره وارفدوه دائما بالنخبة الصالحة الطيبة من الشباب ليكون لكم صدقة جارية بكل كلمة تدل على هدى أو ترد عن ضلالة.

وأدعوكم الى التنويع في آليات عملكم وعدم التوقف عند طريقة معينة على طول المدة لان من طبيعة الانسان والحياة التغيير والتجديد.

---

(٢٠) الكلمة التي وجهها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) الى آلاف الطلبة الجامعيين من مختلف الجامعات العراقية ضمن فعاليات اقيمت لهم على قاعة النجف الكبرى بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) مساء يوم الاثنين ٢/جمادى الاخرة/١٤٣٦ المصادف ٢٣/ ٣/ ٢٠١٥

(٢١) حكى بعض المطلعين ان موقع مسجد ضرار الى اليوم لا يتقبل الاعمار والبناء ويقول من هناك انه كلما عمر احترق وتهدم والله العالم. (٢٢) نور الثقلين: ٢/ ٢٦٨ (٢٣) الخصال: ٣٤٣ ح٨ (٢٤) كنز العمال: ٤٣٠٥٩ (٢٥) كنز العمال: ٤٣١٠٣

(٢٦) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، ابواب مقدماته وآدابه، باب ١ ح ٤ (٢٧) بحار الانوار: ج١٠٣ ص٣٧٢ ح٣ (٢٨) بحار الانوار: ١/٢٢٢ ح ٦ (٢٩) بحار الانوار: ١/٢٢٤ ح ١٣ (٣٠) الخصال: ص ٣٦-٣٧ ح ١٢ (٣١) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: ٤/ ٣٦٥

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي